شرح أحكام الإسلام

المسمى

« رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام »

على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه

تأليف

العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي

الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ﻫ

الطبعة الثانية

١٣٧٧ ﻫ — ١٩٥٨ م

الناشر

المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

محمد نمنكاني وولده

www.attaweel.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل دار السلام . مبنية على أركان الإسلام . ونفع الجارية والغلام . فى السن والفن بتعليم أحكام الشرائع وشرائع الأحكام. خصوصاً معرفة الشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصيام . وما لذلك من الشرائط وغيرها من الأنواع والأقسام . ثم من الله أشرف الصلاة وأتم السلام . على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأئمة الكرام . والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الليالى والأيام . ﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير . والعاجز الحقير . عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى النابلسى الحنفى . عامله الله تعالى بلطفه الخفى : هذا شرح لطيف العبارة . ظريف الإشارة . وضعته على منظومتى المختصرة للكلام . فى أركان الإسلام . التى سميتها كفاية الغلام . أحلُّ به ما تعقد من ألفاظها . وأكحل بأثمد البيان ما انطبق من جفون ألحاظها . ﴿ وسميته ﴾ رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام . واسأل الله تعالى من فضله أن ينفع بذلك جميع الأنام . وأن ييسر لنا حسن الختام . فإنه ولى التوفيق والهادى إلى سواء الطريق .

الحمـــد لله على ما وفّقـا ثم الصلاة والسلام مطلقـا

(الحمد) أى الشكر (لله) سبحانه وتعالى (على ماوفقا) الألف للاطلاق وما مصدريّة أى على توفيقه ، والتوفيق هو خلق الاستطاعة للطاعة فى العبد ولم أقل خلق القدرة لأن القدرة فى اصطلاح الشرع سلامة الأسباب والآلات الانسانية لأنها مناط التكليف . والقدرةُ بهذا المعنى موجودة فى كل مكلّف مسلماً كان أو كافراً فيلزم أن يكون الكافر موفقاً وهو ممتنع . وأما الاستطاعة فهى القدرة المقارنة للفعل وهى عرَض يخلقه الله تعالى للمكلف عند الفعل لا قبله ولا بعده وقد ذكر الفرق بينهما فى

www.attaweel.com

علم الكلام (ثم الصلاة) أى الرحمة من الله تعالى (والسلام) أى الأمان من كل نقصان (مطلقا) حال من الصلاة والسلام أى من غير قيد بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان ولا الدنيا ولا الآخرة بل فى جميع ذلك إلى الأبد .

على النبي المصطفى التهامى وآله وصحبه الكرام

(على النبى) مشتق من النباء وهو الخبر فعيل بمعنى مفعول لأن الله تعالى أخبره بالوحى أو بمعنى فاعل لأنه أخبر عن الله تعالى أو من النبوة وهى الرفعة فعيل بمعنى مفعول أى مرفوع الرتبة فى الدنيا والآخرة أو بمعنى فاعل أى لكل من اتبعه فى الدارين وهو إنسان أوحى الله تعالى إليه بشرع أمره بتبليغه أو لم يأمره والرسول أخص منه لأنه مأمور بالتبليغ وقيل هما مترادفان (المصطفى) من الصفوة وهى خيار الشيء أى المختار ، قال صلى الله عليه وسلم « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى نبى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » (التهامى) بكسر التاء المثناة الفوقية أو بفتحها منسوب إلى تهامة بالكسر أو الفتح قال ابن فارس فى المجمل والتهم شدة الحر وركود الريح وبذلك سميت تهامة وفى القاموس تهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض معروفة لا بلد ووهم الجوهرى وفى محل آخر والحجاز مكة والمدينة والطائف كأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة انتهى . وفى النهر شرح الكنز إن مكة من تهامة بكسر التاء وفتحها لأنها اسم لكل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت بذلك من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر أو لتغير هوائها يقال تهم الدهن إذا تغير انتهى . فعلى هذا تهامة موضعان هما فى الأصل مكان واحد اسم لمكة واسم أيضاً لأرض معروفة وكونها اسم لمكة باعتبار أن مكة من تلك الأرض المعروفة فهو مجاز من إطلاق اسم الكل على البعض

www.attaweel.com

والمراد هنا الأول أو الثاني (وعلى آله) أى كل من آل بمعنى رجع إليه صلى الله عليه وسلم بنسب وهم أولاد على وعقيل والعباس وجعفر والحارث والمراد المؤمن منهم أو باتباع وهم كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة (وعلى صحبه) بالفتح اسم جمع كركب ورهط والواحد صحابى منسوب إلى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وهو من لقى النبي صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمناً به ومات على الاسلام وإن تخللت ردة طالت الصحبة أم لا (الكرام) جمع كريم نعت للآل والصحب وهو من الكرم بمعنى الصفح أو الجود ضد اللؤم

(وبعدُ) فالإسلامُ لما بُنِيَا على الشهادتين فيما رُوِيَا

(وبعد) أصلها أما بعد فحذفت أما وأقيمت الواو مقامها وأصل أمّا بعد مهما يكن من شيء بعد فحذفت مهما يكن وأقيمت أما مقامها كما أقيمت نعم مقام الجملة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى بأما بعد فى خطبه وكتبه (فالإسلام) وهو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الأحكام الشرعية والإذعان لها وذلك حقيقة التصديق والتصديق هو الإيمان فالإسلام والإيمان بمعنى واحد (لما بُنيا) بالبناء للمفعول وألف الإطلاق من بناه يبنيه استعارة تصريحية يقال بنيت الجدار فى الأمر المحسوس (على) الإتيان بلفظ (الشهادتين) تثنية شهادة من الشهود وهو المعاينة سمى العلم بذلك مبالغة للقطع والجزم أو تفاؤلا بحصول الشهود . والشهادتان هما قولك أشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاّ اللهُ وَأشهدُ أنّ محمداً رَسولُ الله (فيما) أى فى الحديث الذى (رُويَا) بالبناء للمفعول وألف الإطلاق أيضاً أى رواه الراوى من الرواية وهى النقل عن الغير .

ثمَّ علىَ الصلاةِ والزكاةِ والصوْمِ والحجّ منَ الميقاتِ

(ثم) بُنىَ الإسلام أيضاً (على) فعل (الصلاة) المفروضة (وإيتاء الزكاة) فى المال وفعل (الصوم) أى صوم شهر رمضان (و) فعل

www.attaweel.com

(الحج) أى حجة الإسلام المفروضة على المكلف حيث يجب الإحرام له (من الميقات) وهو موضع الأحرام كما سيأتى وأصله اسم للزمان فاطلق على المكان مجازاً من إطلاق اسم الحال على المحل ، والمراد بهذا ما ورد من الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى فى أوائل صحيحه فى كتاب الإيمان . حدثنا عبيدُ اللهِ بنُ موسى قال أخبرنا حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمةَ بن خالد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنّ محمداً رسولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والحجِّ وصومِ رمضانَ ، فهذه المنظومة شرح لهذا الحديث لأن فيها بيان هذه الأركان الخمسة التى بنى الإسلام عليها فمن أتقنها فقد أتقن أركان إسلامه بحسب اجتهاد الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه وهو أقدم المذاهب الأربعة وأشهرها وأكثرها أتباعاً ومقلدين إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى . وغالب أحكامه مبنى على اليسر والسهولة على المكلفين طبق مراد الله تعالى بعباده كما قال الله تعالى « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الدِّينُ اليُسرَ » وفى حديث آخر (يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا) .

أرَدْتُ أنْ أجمعَ فى ذى الخمسهْ شيئاً بِهِ يُصلِحُ مثْلى نفسهْ

(أردت) جوابُ لمّا أى قصدت من تلقاء نفسى بلا أمر أحد لى بذلك (أن أجمع) من كتب فقه الأئمة الحنفية (فى) بيان (ذى) أى هذه الأركان أركان الإسلام (الخمسه) بإبدال التاء المثناة الفوقية هاءً للوقف عليها من أجل القافية أى الخمسة المذكورة التى هى الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج (شيئاً) مفعول أجمعَ وتنكيره للتعظيم أى قصدت تصنيفاً وتأليفاً لطيفاً محتوياً على فوائد جمة ومسائل مهمة متعلقة بالأركان المذكورة (به) أى بذلك الشىء (يُصلح) من أصلح

www.attaweel.com

ضد أفسد (مثلى) من عباد الله تعالى المكلفين بطاعته فى الظاهر والباطن (نفسه) أى ذاته الجامعة لجميع صفاته وأفعاله ظاهراً وباطناً .

منظومة فى غايةِ اختصارِ . يسهلُ حفظهـا على الصغارِ

(منظومة) بالنصب بدل من شيئاً أو عطف بيان عليه مشتق من النظم وهو فى الأصل جمع اللآلى فى سلك واحد ثم أريد به تشبيه الكلمات المتناسقة المعنى المجموعة على وزن واحد من أى بحر كان . وهذه المنظومة من بحر الرجز ووزنه مستفعلن مستفعلن مستفعلن ثلاث مرات (فى غاية) أى نهاية ما يكون والجار مع المجرور صفة لمنظومة (اختصار) والاختصار هو قلة المبنى وكثرة المعنى بحيث أن أبيات هذه المنظومة الجامعة لمسائل أركان الإسلام الخمسة بلغت مائة وخمسين بيتاً (يسهل) أى تصير سهلا والسهل ضد الصعب (حفظها) أى عدم نسيان أبياتها أو إتقان مبانيها ومعرفة أحكام معانيها (على الصغار) من الناس فى السن أو الفن وهم المتعلمون المبتدؤن خصوصاً من ابتلى بالأشغال الدنيوية ولم يمكنه التفرغ لقراءة الكتب الكبار فى العقائد وفقه الحنفية .

(سميتها) كفاية الغـــلامِ فى جملة الأركان للإسلامِ

(سميتها) أى هذه المنظومة (كفاية) أى مقدار ما يكفى من معرفة الدين المحمدى اعتقاداً وعملا (الغلام) وهو الذكر الذى دون البلوغ ويلتحق به الجارية وما فى معنى ذلك ممن لم يبلغ سن التمييز فى معرفة الدين وإن كان شيخاً كبيراً يناهز التسعين* (فى) بيان (جملة الأركان) الخمسة المذكورة (للإسلام) وهو ملة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأسألُ الله الكريم المغفرهْ وأن يكون منقذى فى الآخرهْ

(وأسأل الله) أى أطلب منه سبحانه (الكريم) أى الموصوف بالكرم وهو الجود والعطاء (المغفرة) بإبدال التاء المثناة الفوقية هاء لأجل الوقف لصحة الوزن والقافية وهى التجاوز عن الذنوب والمسامحة عنها (وأن

---

* يناهز التسعين أى يقاربها ويدانيها

www.attaweel.com

يكون) معطوف على المغفرة أى وأسأله تعالى كونه أى اتصافه بأنه (منقذى) بالقاف والذال المعجمة من الإنقاذ وهو النجاة والسلامة (فى) دار (الآخرة) بإبدال التاء هاء أيضاً لما ذكرنا وهى يوم القيامة .

* * *

فصل فى مقتضى شهادة أن لاإلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله

(فصل) مرفوع بأنه خبر مبتدء محذوف تقديره هذا فصل (فى) بيان (مقتضى) أى ماتقتضيه من مسائل الاعتقاد (شهادة أن لاإله) أى لا معبود بحق (إلا الله) تعالى (و) شهادة (أن محمداً) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى ولد بمكة عام الفيل ثم هاجر إلى المدينة ومات بها وقبره الآن بها صلى الله عليه وسلم (رسولُ اللهِ) إلى كافة العالمين وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة .

معرفةُ اللهِ عليكَ تُفترضْ بأنهُ لا جوهرٌ ولا عَرضْ

(معرفة الله) تعالى وهى الجزم بوجوده سبحانه منزهاً عن مشابهة كل شيء جزماً مستندا إلى دليل عقلى أو كشف إلهامى وباتصافه بصفات الكمال وتسميه بأسماء الجلال والجمال فاعلا كل شيء والدوام على ذلك إلى الموت (عليك) يا أيها العاقل البالغ (تفترض) بالبناء للمفعول أى يفترضها الله تعالى فى الحال يعنى يجعلها فرض عين لأن عبادته تعالى فرض عليك ولا تتأتى العبادة إلا بعد معرفة المعبود والإذعان له وما لا يمكن التوصل إلى الفرض إلا به فهو فرض فمعرفة المعبود فرض (بأنه) سبحانه وتعالى، والجار مع المجرور متعلق بالمعرفة لأنها مصدر (لاجوهر) والجوهر عند أهل السنة والجماعة هو الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يقبل الانقسام أصلا لبساطته وهو الذى يركب منه الجسم فكل جسم مركب منه ؛ *

(*) مثاله النقطة وهى عبارة عن انتهاء الخط فانها لاتقبل الانقسام لاقطعا ولا وهما

www.attaweel.com

والجوهر عند حكماء الفلسفة إما جوهر جرماني أي مادي أو جوهر روحاني والجرماني هو الجسم وأجزاؤه الهيولى والصورة. والروحاني العقول والنفوس المجردة وقد أبطله أهل السنة بقسميه وعلى كل حال فالله تعالى منزه عن أن يكون شيئاً من ذلك لأنه يستحيل أن يكون جسما لأن الجسم مركب وكل مركب حادث لحدوث تركّبه بعد البساطة الأصلية وإذا استحال عليه تعالى أن يكون جسما إستحال عليه أن يكون جزء الجسم جوهرا فردا أو هيولى وصورةً لتعدد الأجزاء وهو واحد سبحانه كما سنذكره في دليل الوحدانية أو لافتقاره إلى التركيب وتحيزه وتحديده وهي أعراض حادثة والحادث يفتقر إلى القديم فكيف يفتقر إليه القـــديم ويستحيل عليه تعالى أيضاً أن يكون روحانيا عقلا أو نفساً قائماً بالجسم أو مجردا عنه لافتقاره إلى التعلق الجسماني أو التجرد الروحاني والتعلق والتجرد عرضان لإمكان انفكاكهما بتجرد المتعلق وتعلق المجرد وكل عرض حادث والقديم لا يفتقر إلى الحادث كما ذكرنا (ولا عَرض) بالعين المهملة وفتح الراء وهو مالا يقوم بذاته بل بغيره بأن يكون تابعاً لغيره في التحيز فمعنى وجود العرض في غيره هو أن وجوده في نفسه هو وجوده في غيره أي في محله الذي يقوّمه* والعرض ثلاثة أقسام: الكم وهو المقدار والكيف كاللون والطعم والرائحة والنسبة وهي سبعة أقسام: المضاف وهو النسبة المتكررة كالأبوة والبنوة والفوقية والتحتية. والأين وهو الحصول في المكان والمتى وهو الحصول في الزمان كالعتاقة والحداثة. والوضع وهو الهيئة الحاصلة للجسم من نسبة بعض أجزائه إلى بعض أو إلى الأمور الخارجية كالسماء والأرض مثل القيام والقعود. والجدة وهو نسبة الشيء إلى ملاصق ينتقل بانتقاله كالتعمم والتقمص والتختم. والتأثير كالقطع والتأثر كالانقطاع فمجموع أقسام العرض تسعة وهو ممتنع بقاؤه لأن البقاء عرض فلو بقي

* ثم من حيث هواي العرض ينقسم إلى قسمين انضمامي وانتزاعي فالانضمامي هو مالا يقوم بذاته الخ كما عرفه المؤلف والانتزاعي هو وجوده وجود المحل أي عين وجود المنشأ مثاله كالسماء والأرض

www.attaweel.com

العرَض لقام العرَض بالعرض والعرض لا يقوم بنفسه بل لا بد له من جوهر يقوم به فكيف يقوم به غيره وإذا امتنع بقاؤه وجب حدوثه والله تعالى قديم فيستحيل عليه أن يكون حادثاً فليس هو عرضاً سبحانه وتعالى

وليس يحويه مكانٌ لا ولاَ تدركه العقول جل وعلاَ

(وليس يحويه) تعالى أى تجمعه ويحيط به (مكان) وهو ما يستقر عليه الشيء والحيِّز هو الفراغ الذى يشغله الشيء ويملؤه وكلاهما يستحيل على الله تعالى لأنه افتقارٌ إلى الغير تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا (لا) تأكيد لنفى ليس أى لا يحويه مكان (ولا تدركه) سبحانه وتعالى أى تعلمه علماً تاماً من جميع الوجوه (العقول) البشرية وغيرها من العقول الملكية والجنية ومالا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى كما قال « ويخلقُ مَالاَ تَعلمونَ » فإن العقول كلها مخلوقة للاجماع على أن ما عدا الله تعالى مخلوق والمخلوق لا يعلم الخالق إلا علماً حادثاً والحادث لا يشابه القديم والعقول جمع عقل وهو جوهر روحانى منبث فى الدماغ أو فى القلب تدرك به الحاضرات بواسطة الحواس والغائبات بواسطة الفكر (جل) أى الله تعالى يعنى عظم (وعلا) أى ارتفع عن مثال العقول وفى ذكر الإدراك إشارة إلى أن العقول تعلمه سبحانه من وجه كونه موجوداً حقاً متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن صفات النقصان ولا تعلمه من كل وجه فتعرفه معرفة تصديق بوجوده وذلك مقدار ما كلفها به .

لا ذاتُه تشبهها الذواتُ ولا حكَت صفاتِه الصفات

(لاذاتُه) سبحانه وتعالى القديمة الأزلية (تشبهها) ولو بوجه من الوجوه (الذوات) الحادثة كلها ما كان منها ومالم يكن (ولا حكت) أى ما ثلت وشابهت (صفاته) وأسمائه الأزلية القديمة (الصفات) والأسماء كلها

www.attaweel.com

وما له فى ملـــكه وزيرُ ولا له مثلٌ ولا نظيرُ

(وماله) سبحانه وتعالى (فى) جميع (ملكه) أى ما يملكه من جميع مخلوقاته المحسوسة والمعقولة (وزير) اى مدبر ومعين ، قال ابن فارس فى المجمل وازرت فلانا موازرة أعنته على أمره ومن ذلك الوزير (ولاله) سبحانه وتعالى (مثل) بكسر الميم وسكون الثاء المثلثة وهو الشبيه (ولا) له تعالى (نظير) وهو المثل الذى إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء كذا فى المجمل .

فـردٌ له منه تتمّ المعـرفهْ وواحدٌ ذاتاً وفعلا وصفهْ

(فرد) خبر مبتدأ محذوف تقديره هو فرد ، والفرد هو الذى لا شبه له أى لا يشابهه شيء أصلا (له) سبحانه وتعالى (منه) أى من جهته تعالى لا غيره (تتم) أى تكمل (المعرفه) بابدال التاء المثناة الفوقية هاء لأجل الوزن والقافية أى لا يعرفه سبحانه المعرفة التامة غيره تعالى لأنه قديم ومعرفته بنفسه قديمة فهى تامة وغيره حادث ومعرفته به حادثة والمعرفة الحادثة ناقصة فلا تليق بالقديم (وواحد) أى هو واحد جل وعلا ، وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال الأزهرى الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بُنى لنفى ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءنى أحد والواحد إسم بُنى لمفتتح العدد تقول جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير والأحد منفرد بالمعنى انتهى والمراد اتصافه بالوحدانية (ذاتاً) أى فى ذاته سبحانه وهو انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام والتبعيض والتجزّى وإلا لكان مركباً فى ذاته وكل مركب حادث كما مر (وفعلا) أى فى أفعاله تعالى وهو انفراده تعالى باختراع الكائنات عموماً وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى فى شيء من الممكنات (وصفه) بالهاء الساكنة لأجل القافية أى فى صفاته

www.attaweel.com

سبحانه فلا تعدد لصفة من صفاته تعالى بل كل صفة من صفاته واحدة ولا يتصف غيره بصفة تشبه صفة من صفاته تعالى ، ودليل الوحدانية أنه لو فرض وجود إلهين إثنين فلا بد أن يتصف كل منهما بصفات الكمال ويتنزه عن صفات النقصان وإلا لما كان إلهين إثنين وبعد ذلك فاما أن يقدر أحدهما على مخالفة الآخر باعدام ما يوجده الآخر أولا يقدر فإن قدر لزم عجزهما أيضاً لعدم القدرة من كل منهما على إنفاذ مراده

وهو القديم وحده والباقي   في القيد نحن وهو في الإطلاقِ

(وهو) سبحانه وتعالى (القديم) لا غيره (وحده) تأكيد للحصر المفهوم من تعريف المبتدأ والخبر ، والقدم صفة سلبية وهو انتفاء العدم السابق على الوجود وهو من خواص الألوهية الحقة ودليله أنه تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو محال (و) هو أيضاً (الباقي) وحده سبحانه وتعالى ، والبقاء صفة سلبية أيضاً وهو انتفاء العدم اللاحق للوجود ، والمراد البقاء بالذات المختص بالألوهية ودليله إن الله تعالى لو لم يكن باقياً لكان يفنى وينعدم وكل قابل للفناء والانعدام حادث والله تعالى قديم وليس بحادث فهو باق وأما البقاء بالغير كبقاء أهل الجنة والنار فليس هو من صفات الله تعالى لتنزه الله تعالى عنه لأنه افتقار إلى الغير وهو محال على الله تعالى (في القيد) أي الحد المحدود كالصورة المحسوسة الظاهرة والهيئة المعنوية الباطنة والمدة المخصوصة والمكان المخصوص وان تغيرت علينا هذه القيود كلها في كل وقت فانا لا نخرج عن قيد ما منها أصلا (نحن) معشر المخلوقات كلنا ما كان منا ومالم يكن . وتقديم الخبر يفيد الحصر أي لا غيرنا في قيد أصلا وذلك هو الخالق سبحانه وتعالى (وهو) عز وجل (في) حضرة (الاطلاق) من غير قيد أي حد مطلقا في ذاته أو صفاته أو أفعاله فلا صورة له تعالى

www.attaweel.com

حسية ولا معنوية ولا مدة ولا مكان لذاته ولا لصفة من صفاته ولا لفعل من أفعاله

حى علـــيم قادر مريدُ · فى خلقه يفعل ما يريدُ

(حى) أى هو حى سبحانه وتعالى يعنى موصوفا بالحياة وهى صفة تصحح له الاتصاف بباقى الصفات (عليم) أى موصوف بالعلم وهو صفة ينكشف بها كل ما قبل الانكشاف من غير احتمال النقيض (قادر) أى له قدرة يرجح بها أحدَ طرفى الممكن بوجود أو عدم (مريد) أى له إرادة يخصص بها الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الأحوال (فى خلقه) سبحانه وتعالى أى فى مخلوقاته (يفعل ما) أىّ شىء أو الذى (يريد) أى يريده من خير أو شر أو نفع أوضر كما قال تعالى «فعال لما يريد» .

وهو السميع والبصير لم يزلْ · بغير ما جارحةٍ من الأزلْ

(وهو) سبحانه وتعالى (السميع) أى المختص بالاتصاف بالسمع القديم القائم بذاته تعالى الذى ليس بأذن ولا صماخ ولا بسبب وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت كما فى سمعنا الحادث (والبصير) أى المختص بالاتصاف بالبصر القديم القائم بذاته تعالى الذى ليس بحدقة ولا اجفان ولا بسبب مقابلة على الاعتدال فى وجود النور كما فى بصرنا الحادث ، وما أحسن قول العارف الكامل الشيخ محي الدين بن العربى قدس الله سره لو لم يسمعك ولم يبصرك لجهل كثيراً منك. ونسبة الجهل اليه محال فلا سبيل إلى نفى هاتين الصفتين عنه بحال (لم يزل) بفتح الزاى مضارع منفى بلم مشتق من التزايل وهو التباين والتباعد والتفرق يقال زيّلت بينهم أى فرقت يعنى هو سبحانه وتعالى باق على سمعه لم يبن عنه ذلك ولا تباعد ولا تفرق بل هو على ما عليه كان (بغير) متعلق بالفعل المذكور (ما) حرف زائد بين المضاف والمضاف إليه وهو (جارحة) والجارحة العضو

www.attaweel.com

الذى به السمع وبه البصر ، وذلك هو العين ذات الحدقة والأجفان والأذن ذات الصماخ والعصب المفروش فى باطنه مشتقة من الجرح والاجتراح وهو الاكتساب قال الجوهرى فى الصحاح جرح واجترح أى اكتسب والجوارح من السباع والطير ذوات الصيد وجوارح الإنسان أعضاؤه التى يكتسب بها (من الأزل) متعلق بالفعل أيضاً والأزل بالتحريك كما قال ابن فارس فى المجمل هو القدم يقال هو أزلى وأرى الكلمة ليست بالمشهورة وفيها احسب أنهم قالوا للقديم لم يزل ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا بالاختصار فقالوا يزلى ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أحق فقالوا أزلى وهو كقولهم فى الرمح المنسوب إلى ذى يزن أزنى .

له كلام ليس كالمعروفِ جلّ عن الأصوات والحروفِ

(له) سبحانه وتعالى لا لغيره إذ كلام غيره ليس مثل كلامه تعالى (كلام) قديم أزلى (ليس كالمعروف) عندنا من كلام المخلوقين وهو صفة له تعالى قائمة بذاته لا تعدد فيه ولا تكثر ولا ابتداء له ولا انتهاء وهو المتصف تارة بكونه أمراً وتارة بكونه نهياً وتارة بكونه خبراً وتارة بكونه استفهاماً بحسب ما تعلق به وهذا الاتصاف ظهوره بصورة ذلك عند المخاطبين من غير أن تتغير فى نفسه عما هو عليه فى حضرة ذات الله تعالى كما أن القوة الناطقة فى الإنسان لا تزول بالسكوت ولا تتغير عما هى عليه باختلاف ما يصدر عنها من المعانى والكلمات ولا تكثر بكثرة ذلك وتقل بقلته بل تظهر بكل معنى وبكل كلمة هى عليه ظهوراً لا تتغير به عما هى عليه فى نفسها وهذا معنى قولهم إن الكلام الألهى وهو معنى قديم قائم بذات الله تعالى فافهم ما أرادوا بالمعنى المقابل للفظ لأنه عرض وإنما أرادوا أن كلام الله تعالى ليس بذات أخرى غير ذات الله تعالى وإنما هو صفة قائمة بذاته تعالى لا ينفك عن ذاته أصلا كالقوة الناطقة فى ذات الإنسان لا تفارق ذات الإنسان أصلا (جل) أى عظم وتنزه (عن

www.attaweel.com

الأصوات) جمع صوت (والحروف) جمع حرف لأنه ليس مثل كلام المخلوقين المشتمل على الحرف والأصوات لأنها أعراض زائلة وكلام الله تعالى قديم ، والحاصل أن الله تعالى متكلم بكلامه القديم النفسانى مع ملائكته وأنبيائه وخاصة أوليائه فيخلق فى نفوسهم معانى وكلمات على إختلاف لغاتهم وقد ألهمهم بها ما أراده تعالى مما هو فى علمه القديم فتلقوا ذلك منه على حسب قوة تجردهم واستعدادهم له فسُمى فى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وحيا وُسمى فى الأولياء إلهاماً ولا شك أن تجرد الملائكة خصوصاً الخواص منهم كجبريل عليه السلام أكثر من تجرُّد البشر وإن كان خواص البشر أفضل من خواص الملائكة عليهم السلام لأن كلامنا فى التجرد لا فى غيره من الفضيلة وتجرد الأنبياء عليهم السلام أكثر من تجرد الأولياء رضى الله عنهم ولهذا سمى ما أوحى إلى جبريل عليه السلام فنزل به على قلوب الأنبياء عليهم السلام كلام الله وسمى قرآناً وتوراة وإنجيلا وزبوراً وصحائف وما أوحى إلى الأنبياء عليهم السلام وحياً غير متلو وكلام نبوة وحكمة وحديثاً شريفاً وما وقع فى قلوب الأولياء رضى الله عنهم إلهاماً وحكمة وعلماً لدنيًّا وفيضاً وفتحاً وكشفاً ولا يسمّى كلام الله تعالى لعدم تمام التجرد ببقاء البشرية قال تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء » الآية . فالأصوات والكلمات التى نزل بها جبريل على قلوب الأنبياء عليهم السلام هى كلام الله تعالى حقيقة لأن كلام الله تعالى القديم ظهر بها وتصور بصورها من غير أن تتغير عما هو عليه فى ذات الله تعالى فمن انكرها أو شيئاً منها أو استهزأ على حرف أو صوت منها فهو كافر بالله تعالى وأن كلام الله تعالى النازل بها والمتصور بصورها منزّه عنها أزلا وأبداً .

وبقضاء الله والتقدير جميع ما يجرى من الأمور

(وبقضاء) الجار مع المجرور فى محل رفع على أنه خبر مقدم (الله)

www.attaweel.com

سبحانه وتعالى وهو حكمه الأزلى بما يعلمه من أحوال الممكنات (والتقدير) معطوف على القضاء والألف واللام فيه عوض عن المضاف إليه والأصل وتقدير الله ويقال له القدر بالتحريك وبالسكون أيضا وهو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب (جميع) مبتدأ مؤخر (ما) أى الذى (يجرى) على المخلوقات (من الأمور) الوجودية والعدمية كالحركة والسكون والموت والحياة ونحو ذلك .

وكلُّ مايوجدُ من فعلِ البشرْ   فإنه بخلقه خيرٍ وشرْ

(وكل ما) أى أمر أو الذى (يوجد من فعل البشر) بفتح الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وهم بنو آدم سموا بذلك لظهورهم بخلاف الجن أو لظهور بشرتهم وهى ظاهر جلد الإنسان أو من البشارة بفتح الباء وهى الجمال ولا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع والمرأة أيضاً (فإنه) أى كل مايوجد من ذلك حاصل وكائن (بخلقه) سبحانه وتعالى أى تقديره وإيجاده (خير) بالجر بدل من فعل البشر بدل بعض من كل (وشر) معطوف على خير والضمير العائد على المبدَل منه محذوف تقديره خيره وشره والمراد أفعالهم الإختيارية الصادرة منهم منسوبة إلى قوة حياتهم العرضية وتأثير قدرهم المجازى وتخصيص إرادتهم واختيارهم الجزئى فإن الله تعالى خالق جميع ذلك منسوباً إليهم كما أن خلق أعضائهم الجسمانية منسوبة إليهم فهى أفعالهم كسباً وأفعاله تعالى خلقاً وإيجاداً ويصبح نسبة فعل واحد إلى فاعلين مختلفين بنسبتين مختلفتين كالدار المستأجرة منسوبة إلى مالكها وإلى مستأجرها بنسبتين مختلفتين نسبة الملك ونسبة التصرف .

كلَّف عبده وَما قد جارَا   وهو الذى يجعله مُختارَا

(كاف) بتشديد اللام أى الله تعالى (عبده) العاقل البالغ بما كلفه به من الاعتقاد الصحح المطابق لما ورد فى الكتاب والسنة على طريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والعلماء والعمل الصالح الخالى من البدعة على حسب الطاقة فعلا وكفا بمقضى أحد المذاهب الأربعة (وما قد جارا) بألف الاطلاق أى ما جار سبحانه وتعالى فى تكليفه له بذلك لأن الجور فى حق مخترع جميع المخلوقات من العدم لا يتصور أصلا فإنه يتصرف فى ملكه بما يريد وإنما الظلم والجور هو التصرف فى ملك الغير ولا غير معه تعالى يملك شيئا أصلا إلا بإيجاده سبحانه وتعالى وتمليكه ، فالملكون والمملوكون كلهم ملكه جل وعلا يتصرف فيهم كيف يشاء. فإن كان تصرفه فيهم موافقا لمرادهم فى الدنيا كان فضلا أو استدراجا وفى الآخرة فضلا فقط وان كان تصرفه فيهم غير موافق لمرادهم فى الدنيا و لآخرة كان عدلا وحكمة والجور عليه تعالى محال (وهو) سبحانه وتعالى لا غيره (الذى يجعله) أى يجعل عبده المكلف (مختاراً) أى يخلقه كذلك يختار الخير أو يختار الشر فيثيبه على ما يخلقه له من فعل الخير ويعاقبه على ما يخلقه له من فعل الشر « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »

أرسلَ رسله الكرامَ فينا مبشرين بل ومنذرينا

(أرسل) سبحانه وتعالى (رسله) بسكون السين المهملة للتخفيف وأصله بضمها جمع رسول وهو إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه (الكرام) جمع كريم (فينا) معشر بنى آدم أو المكلفين ليدخل الجنُّ ولم يقل لنا للاشارة إلى أن الرسل من جنسينا من البشر فان الظرفية مشعرة بذلك (مبشرين) حال من رسله أى فاعلين البشارة بالكسر وهى اسم من قولك بشرتَ فلاناً أبشّره تبشيراً إذا أخبرته بخير فغيرت بشرة وجهه ، قال فى المجمل وذلك يكون بالخير والشر فاذا أطلقتْ فالبشارة تكون بالخير والنّذارة بغيره (بل) حرف إضراب عن الاقتصار على الأول

www.attaweel.com

أى ليسوا مبشرين فقط ولهذا جاءت الواو العاطفة بعده المقتضيةُ للجمع (ومنذرينا) جمع منذر بصيغة إسم الفاعل من الإنذار وهو الأبلاغ ولا يكاد يكون إلا فى التخريف وتناذر هذا الأمر بنو فلان إذا خوف بعضهم بعضاً كذا فى الجمل ، والمراد بيان حكمة إرسال الله تعالى الرسل من الأنبياء عليهم السلام إلى عباده المكلفين فضلا منه تعالى ورحمة من غير وجوب وتلك الحكمة هى بشارة المطيعين له تعالى من عباده برضوانه تعالى والجنة والنعيم المقيم وتخويف الكافرين والعاصين بغضبه سبحانه وتعالى والنار والعذاب الأليم كما قال تعالى « وما نرسل المرسلين إلى مبشرين ومنذرين » .

أيَّدهم بالصدق والأمانه ْ والحفظ والعصمةِ والصيانه ْ

(أيدهم) أى الله تعالى الذى أرسلهم قال فى الجمل الأيد القوة يقال آديئيد إذا اشتد وقوى ومنه قولهم أيده الله (بالصدق) وهو مطابقة الكلام للواقع فكلهم صادقون عليهم الصلاة والسلام فى جميع ما بلغوه عن الله تعالى لأن الله تعالى صدقهم بخلق المعجزة لهم النازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى جميع ما يبلغ عنى . فلو كذبوا لوقع الكذب فى حقه تعالى وهو محال لا فضائه إلى النقص بعدم الوثوق بالخبر والنقص عليه تعالى محال (والأمانة) ضد الخيانة ومعنى الأمانة أن يكون موثوقاً به فى جميع أحواله ظاهراً وباطناً بحيث لا يغدر ولا يخون فى قليل ولا كثير ولا جليل ولا حقير وجميع الأنبياء كذلك عليهم الصلاة والسلام لأن الله تعالى إختارهم من بين سائر بنى آدم وآمنهم على أسرار وحيه وهو سبحانه عالم بالسر وأخفى فلو وقعت منهم خيانة فى أمر من الأمور لعلم بها الله تعالى قبل كونها فلم يأمنهم على سر وحيه أو لانقلبت الخيانة أمانة وذلك محال (والحفظ) أى الحراسة من شرور أعدائهم أن يظفروا

www.attaweel.com

بهم قال تعالى « إنا لننصرُ رسلَنا » الآية وقال « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصرون وإن جندنا لهم الغالبون » فالرسل والخلفاء منهم منصورون غالبون على كل حال لأن الله تعالى أمرهم بالتبليغ والقتال وقال عليه السلام فليبلغ الشاهد منكم الغائب .وقوله تعالى « يقتلون النبيين بغير حق » فإن بنى إسرائيل وهم اليهود قتلوا شعيا ويحي وزكريا وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام لأنهم لم يؤمروا بالقتال ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يقتل قط نبي من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال ، وكل من أمر بقتال نصر وغلب .ذكرَه شيخي زاده فى حاشية البيضاوى (والعصمة) من الذنوب الكبائر والصغائر عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها . وجميعُ ماورد عنهم مما سمى معصية وذنباً فى النصوص محمول على كونه كذلك بالنسبة إلى مقامهم الشريف كما قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وفى شرح المقاصد للسعد التفتازانى حقيقة العصمة ملكة اجتناب المعاصى مع التمكن منها إنتهى فذكر التمكن لأجل بقاء التكليف ولهذا قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى العصمة لا تزيل المحنة (والصيانه) أى حفظ النسب ووقاية الأعراض والآباء والأمهات من البغى والخسة والرزالة والدناءة .

أوّلهمْ آدَمُ ثم الآخرُ محمد وهو النبي الفاخِرُ

(أولهم) أى الرسل عليهم السلام (آدم) أبو البشر صفوة الله ﷺ (ثم الآخر) منهم بحيث ليس بعده نبي ولا رسول أصلا (محمد) ابن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم (وهو النبي) الباقى على رسالته وإن مات ﷺ إلى آخر الزمان وانقضاء الدنيا (الفاخر) أى صاحب الفخر وهو الفضيلة والتعظيم .

أرسله الله إلينـا بالهدَى طوبىَ لمن بشرعه قد إهتدَى

(أرسله) ﷺ (اللهُ)تعالى مِنّةً منه وفضلا ورحمة (إلينا) معشر

www.attaweel.com

المكلفين (بالهدى) أى الدين الحق والملة الإسلامية (طوبى) وزنه فعلى من الطيب قلبوا الياء واواً للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالإضافة وطوبى إسم لشجرة فى الجنة كذا فى صحاح الجوهرى (لمن) أى للذى (بشرعه) أى شريعته الإسلامية والجار مع المجرور متعلق بقوله (قد اهتدى) قُـدم عليه للحصر إذ الهداية لا تـكون بغيره إلى يوم القيامة .

تنحصرُ النجاةُ فيما جاء بهْ وهالكٌ من حاد عنهُ فانتبهْ

(تنحصر النجاة) أى السلامة من عقاب الله وتعالى وغضبه فى الدنيا والآخرة (فيما) أى فى متابعة الحق الذى (جاء به) بسكون الهاء لاجل الوزن والقافية أى أتى به من عند الله تعالى من البينات والهدى (وهالك) فى الدنيا والآخرة (من حاد) أى مال وأعرض (عنه) أى عما جاء به أو عنه صلى الله عليه وسلم (فانتبه) فعل أمر من الانتباه بمعنى الأستيقاظ من نوم الغفلة خطاب لـكل مكلَّف .

وكلُّ ما عنه النبيُّ أخبرا فإنه محقَّق بـــلا امترا

(وكل ما) أى الذى أو شىء (عنه) أى عن ذلك الشىء (النبى) صلى الله عليه وسلم (أخبرا) بألف الاطلاق من جميع الأمور المغيبات فى الزمان المستقبل مثل المغيبات فى الزمان المـاضى (فإنه) أى أخبر عنه (محقق) أى ثابت واقع فى وقته (بلا امترا) بالقصر وأصله المد وهو المجادلة ، قال فى المجمل ماريت الرجل أماريه مراءً جادلته .

من نحو أمر القبر والقيامهْ وكلّ ما كان لهـا علامهْ

(من نحو) أى مثل وهو بيان لما (أمر) أى شأن (القبر) من حياة الميت فيه وإقعاده سوياً وتفسيحه مد البصر وسؤال منـكر ونـكير وتعذيبه وتنعيمه على ما وردت به الأحاديث الصحاح وشرحته فى الـكتب المطولات وأمر (القيامة) بالهاء الساكنة للقافيه من بعث الموتى وحشرهم والصراط

www.attaweel.com

والميزان والحوض والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وما فيهما مما أعده الله للنعيم أو العذاب الأليم وغير ذلك مما يطول ذكره وقد فصلناه فيما لنا من الكتب المطولة (وكل ما) أي شيء أو الذى (كان له) أى للقيامة (علامة) بالهاء أيضا وهى أشراط الساعة يعنى علاماتها التى أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة ·

مثلِ طلوع الشمس مغربها وقصـــةِ الدجال كُـن منتبها

(مثل طلوع الشمس من مغربها) ولم يُقبل بعد ذلك لكافر ولا لفاسق توبة (وقصة الدجال) أى الكذاب وإنما دجله كذبه لأنه يدجل الحق بالباطل من الدجل وهو تمويه الشيء ذكره فى المجمل، وعن كعب الاحبار أن الدجال رجل طويل عريض الصدر مطموس العين يدعى الربوبية معه جبل من خبز وجبـــل من أجناس الفواكه وأرباب الملاهى جميعا يضربون بين يديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلا يسمعه أحد إلا تبعه إلا من عصمه الله تعالى. ويخرج على حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض البحر إلى كعبيه ويستظل فى أذن حماره خلقٌ كثير ويمكث فى الأرض أربعين يوما ثم تطلع الشمس يوما حمراء ويوما صفراء ويوما سوداء ثم يصل المهدى وعسكره إلى الدجال فيلقاه ويقتل من أصحابه ثلاثين ألفاً ويهزم الدجال ثم يهبط عيسى عليه السلام إلى الأرض وهو متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف راكب على فرسه وبيده حربة فيأتى اليه فيطعنه بها ويقتله وقد بسطنا الكلام على ذلك وأمثاله من أشراط الساعة فى كتابنا المطالب الوفية وغيره (كن) يا أيها المكلَّف (منتبها) أى مستيقظا من نوم الغفلة واحذر من ذلك فلعلك تدرك زمانه فانه ما من نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال فينبغى إنذار كل جيل لمن بعـــدهم من ذلك وتحذيرهم تلك الفتنة العظيمة، وفى صحيح مسلم ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أبلغ وفى رواية أمرٌ أكبر من الدجال ·

www.attaweel.com

وصحبه جميعهم على هدى   تفضيلهم مرتب بلا اعتدى

(وصحبه) أى صحب النبي ﷺ يعنى صحابته (جميعهم) والمراد المؤمنين منهم ظاهراً وباطنا دون المنافقين والذين ارتدوا أو ماتوا على الكفر فإن الصحبة فى حقهم مبنية على صدقهم ودوامهم على ذلك إلى الموت فاذا لم يوجد الصدق والدوام فلا صحبة فى نفس الأمر. يفهم هذا من قولهم فى تعريف الصحابى هو من أتى النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإيمان فإن الإيمان محله القلب والمنافق إيمانه على لسانه فقط (على هدى) أى دين الحق والسنة النبوية من غير ضلال ولا بدعة ولا فسق (تفضيلهم) أى فضيلتهم ومزيتهم التى يتفاوتون فيها وعظمهم عند الله تعالى وشرفهم (مرتب) بتقديم البعض على البعض ومعنى التفضيل كثرة الثواب ورفع الدرجة وذلك لا يدرك بقياس وإنما يثبت بالنقل ولا يستدل عليه بكثرة الطاعات الظاهرة إذ قد يكون على اليسير من عمل السر أكثر من الكثير الظاهر وإن كانت الأعمال الظاهرة فيها مجال لغلبة الظن بالتفضيل ذكره السنوسى فى شرح الجزرية (بلا اعتدى) أى ظلم للفاضل بتقديم المفضول عليه كما فعلت الرافضة والشيعة بتقديم على وتأخير أبى بكر وعمر رضى الله عنهم أجمعين .

فهم أبو بكر وبعده عمر   وبعده عثمان ذو الوجه الاغر

(فهم) أى أهل التفضيل المنصوص على تفضيلهم (أبو بكر) واسمه عبد الله بن عثمان أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى توفى رضى الله عنه بين المغرب والعشاء فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو إبن ثلاث وستين سنة (وبعده) أى بعد أبى بكر رضى الله عنه فى الفضيلة (عمر) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن فرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى توفى شهيداً آخر سنة ثلاث وعشرين

www.attaweel.com